الرسالة

(عبرانيين ٩: ١١–١٤)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ إذ قد جاءَ رئيسَ كهنةٍ للخيراتِ المستقبَلَةِ فبمسكِنٍ أعظمَ وأكمَلَ غيرِ مصنوعٍ بأيدٍ أي ليس من هذه الخليقة* وليس بدمِ تُيوسٍ وعُجولٍ بل بدمِ نفسِهِ دخلَ الأقداسَ مرَّةً واحدة فوجد فداءً أبديًّا* لأنَّه إن كان دمُ ثيرانٍ وتيوسٍ ورَمادُ عِجلةٍ يُرشُّ على المنجَّسِين فيقدِّسُهم لتطهيرِ الجسد* فكم بالأحرى دمُ المسيحِ الذي بالروحِ الأزليِّ قرَّبَ نفسَهُ للهِ بلا عيبٍ يطهِّرُ ضمائرَكم من الأعمالِ الميِّتةِ لتَعبُدوا اللهَ الحيَّ.

الإنجيل

(مرقس ١٠: ٣٢–٤٤)

في ذلك الزمان أخذ يسوعُ تلاميذَه الإثني عشَرَ وابتدأ

القدّيسة مريم المصريّة

نعيّد في الأحد الخامس من الصوم لإحدى القدّيسات اللواتي عشن، بكلّ ما للكلمة من معنى، سيرةً ملائكيّة، فبتن بخبرة التوبة الصادقة، والنسك الشريف، والإلتصاق الكامل بالمسيح نموذجًا للنقاوة الحقيقيّة، نقاوة النفس والجسد، وصورة أصيلة لمحبّة الله من كلّ القلب والفكر والقوّة. هي مريم المصريّة التي كتب سيرتها الفائقة الطبيعة القدّيس صفرونيوس الأورشليميّ بطريرك المدينة المقدّسة، أبو الكنيسة ومعلّمها.

مريم هذه انحرفت عن سواء السبيل منذ سن مبكّرة. هجرت أهلها وتشرّدت في سيرة الخلاعة واللّهو والشهوة من دون أن تعرف قيدًا لخطاياها، بل شرعت تزيد يومًا فيومًا من شرور أفعالها، كما وجدت متعةً في اجتذاب الناس وإسقاطهم في ظلمة الخطيئة وشقائها، واعتقدت أنّها سعيدة بما تعيشه من لهو وضياع. صارت بإمعانها في السقوط نموذجًا للإثم والمعصية والعيش في عزلة الإبتعاد عن المسيح وعن وصاياه الخلاصيّة، كالإبنِ الشاطر الذي توهّم أنّه يجد ضالّته في رعاية الخنازير آكلة الخرنوب. مَن يدخل دوّامة عشق الخطيئة معرّضٌ لأن يسكر فيها فلا يعود يقوى على رفع عينيه إلى العلى. وحدها عناية العليّ ويمينه العزيزة قادرة على انتشال الإنسان من وهدة هلاكه وظلمة التيه.

العدد ٢٠١٩/١٥

الأحد ١٤ نيسان

الأحد الخامس من الصوم

(أحد القديسة مريم المصرية)

تذكار الرسل أرسترخس وبوذس وتروفيمس

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثاني

ما كنّا لنعرف شيئًا عن هذه القديسة لولا راهب شيخ بارّ إسمه زوسيماس، توغّل في بداية الصوم الأربعينيّ الكبير في قلب الصحراء لقضاء خلوته استعدادًا للأسبوع العظيم المقدّس وعيد الفصح، بحسب عادات رهبان أديرة وادي الأردنّ. سار في وحْدةِ القفر، فما كان منه إلاّ أن لمح شِبْهَ خيالِ إنسانٍ عارٍ ينتقل كالطَّيف بين الجهة والأخرى. تبع هذا الإنسان الذي بدا له ناسكًا منزّهًا عن أمور الدنيا، فما تمكّن من القبض عليه لتقدّمه في السنّ. لكنّه سمع صوتًا خافتًا يرجوه أن يلقي عليه جبّته لأنّه امرأة عارية. عاين قدّيسةً ناسكةً في وسط الصحراء تضاهي الملائكة في ارتقائها فوق نواميس العالم المحسوس. أخبرته

الناسكة بسيرتها وكيفيّة وُلوجها للعيش والتوحّد في وسط الصحراء. ولدتْ في ريف مصر، وهجرت أهلها في سنّ الثانية عشرة لتنتقل إلى الإسكندريّة وتعيش فيها طيلة سبع عشرة سنة في الفسق. إعتاشت من نسج الصوف، لكنّها أحبّت الخطيئة، لا عن حاجة مادّيّة، بل لأنّ نار شهوة الجسد أحرقتها. لاحظت ذات يوم شبّانًا مصريّين وليبيّين يستقلّون مركبًا متّجهًا إلى أورشليم، فقدّمت جسدها أجرةً لنقلها مع المسافرين على متن السفينة. تبعتْ، في المدينة المقدّسة، الحشود الوافدة إلى كنيسة القيامة يوم عيد رفع الصليب الكريم، لكنّها، حين بلغت عتبة الكنيسة، أحسّت بقوّة خفيّة تمنعها من الدخول. بقيتْ وحيدة في زاوية خارج الكنيسة، فأدركت أنّ عدم نقاوتها حالت دون دنوّها من العود المحيي. نظرتْ أيقونة السيّدة والدة الإله ورَجَتْها بالدموع: «أيّتها العذراء السيّدة التي ولدت الإله بالجسد، أعلمُ أنّه لا يحقّ لي أن أنظر إلى أيقونتك، أنتِ النقيّة نفسًا وجسدًا، لأنّني، بتفلّتي، أستدعي قرفَكِ منّي... تعالَي إلى معونتي واسمحي أن أسجد أمام صليب ابنكِ؛ وحالما أنظر الصليب، أعدكِ بأن أرذل العالم وشهواته، وأن أتبع طريق الخلاص الذي ترشديني إليه». فجأةً، تحرّرت ودخلت الكنيسة، وسجدت للصليب المحيي، وسمعت صوتًا سماويًّا يوعز لها باجتياز نهر الأردنّ.

عند خروجها من الكنيسة، إشترتْ ثلاث خبزات من أحد المؤمنين وسارت على طريق الأردنّ حتى بلغت كنيسة القدّيس يوحنّا المعمدان. بعد الإغتسال في النهر، تناولت الأسرار المقدّسة، وتناولت نصف إحدى الخبزات ونامت على ضفّة النهر. عبرت النهر، في الصباح التالي، ودخلت الصحراء حيث عاشت أربعين سنة من دون أن تلتقي إنسانًا.

خلال السنين السبع عشرة الأولى، اهترأت ثيابها وتساقطت، فكانت تحترق من قيظ النّهار وتتجمّد من برد اللّيل ولا تغتذي إلاّ بأعشاب الأرض البرّيّة. لكنّ الأصعب من الظروف الجسديّة القاسية كان مواجهة وثباتِ الأهواء وتذكار الخطيئة. كانت تسجد معفِّرةً جبينها بالتراب ومتوسّلةً إلى والدة الإله أن تبادر إلى معونتها. هكذا، بعد صبرٍ استشهاديّ، ونُسْكٍ قاسٍ، وثباتٍ في الجهاد، إقتلع الله من قلبها سائر الأهواء والشهوات الجسدانيّة وأشعل في نفسها نار محبّة المسيح وعشقه الإلهيّ، الأمر الذي جعلها تحتمل بفرح وحبور، كالملائكة العادمة الأجساد، عزلة الصحراء القاحلة.

بعدما روت مريم للشيخ زوسيما سيرتها، رجته أن يحضر في العام التالي، يوم الخميس العظيم، إلى ضفّة الأردنّ حاملًا معه الكأس المقدّسة لينالها جسد المسيح ودمه. وصل في اليوم المنشود، فشاهد مريم ترسم إشارة الصليب وتعبر النهر ماشيةً على الماء. بعد المناولة صلّت قائلةً: «الآن تطلق عبدتك أيّها السيّد على حسب قولك بسلام...» (٢: ٢٩)، ثمّ اتّفقت مع زوسيما بأن يلقاها في العام التالي في موضع اجتماعهما الأوّل.

بعد مرور سنة، عاد الشيخ إلى الصحراء ليجد جسد مريم مسجًّى على الأرض، وكانت يداها بشكل صليب على صدرها ووجهها متّجهٌ نحو الشرق، ووجد كتابةً على التراب تقول: «أدفن جسد العبدة مريم ليعود التراب إلى التراب...»، فعرف اسمها الذي نسي أن يسألها عنه. عند عودته إلى الدير، أخبر يقول لهم ما سيعرِضُ له: هوذا نحن صاعدون إلى أورشليمَ وابنُ البشر سيُسلَم إلى رؤساءِ الكهنة والكتبةِ فيحكمون عليهِ بالموت ويُسلِمونَهُ إلى الأمم* فيهزأون به ويبصُقون عليهِ ويجلِدونه ويقتُلونه وفي اليوم الثالث يقوم* فدنا إليهِ يعقوبُ ويوحنَّا ابنا زَبَدى قائلَيْنِ يا معلّمُ نريد أن تصنعَ لنا مهما طلبنا* فقال لهما ماذا تريدان أن أصنعَ لكما* قالا له أعطِنا أن يجلِسَ أحدُنا عن يمينك والآخرُ عن يسارك في مجدك* فقال لهما يسوعُ إنَّكما لا تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأسَ التي أشرَبُها أنا وأن تَصْطَبِغا بالصِبْغَةِ التي أصطبِغُ بها أنا* فقالا له نستطيع. فقال لهما يسوعُ أمّا الكأسُ التي أشربُها فتشربانها وبالصِبغَةِ التي أصطبغ بها فتصطبِغان، وأمّا جلوسُكما عن يميني وعن يساري فليس لي أنْ أُعطِيَهُ

إلاَّ للذين أُعِدَّ لهم* فلمَّا سمع العَشَرَةُ ابتدأوا يغضَبون على يعقوبَ ويوحنَّا* فدعاهم يسوع وقال لهم قد علِمتم أنَّ الذين يُحسَبونَ رؤساءَ الأمم يسودونَهم، وعُظَماءَهم يتسلَّطون عليهم* وأمَّا أنتم فلا يكونُ فيكم هكذا* ولكن مَن أراد أنْ يكونَ فيكم كبيراً فليكُنْ لكم خادماً* ومَن أراد أن يكونَ فيكم أوَّلَ فليكُنْ للجميع عبداً* فإنَّ ابنَ البشر لم يأتِ ليُخدَمَ بل ليخدِمَ وليبذُلَ نفسَهُ فداءً عن كثيرين.

تأمل

«فكم بالأحرى دمُ المسيح الذي بالروحِ الأزليِّ قرَّبَ نفسَهُ للهِ».

في تقريب هيكله وأداة جسده فدية عنّا، كان من العدل أن يسدّد كلمةُ الله دَيننا بموته. وإذ قد اتّحد هكذا بجميع البشر عبر جسدٍ مماثلٍ لجسدهم، استطاع ابنُ الله العادمُ الفساد بحقٍّ أن يوشّح كافة البشر بعدم الفساد. لقد صار الكلمة جسداً لكي يقرّب هذه الذبيحة ولكي الرهبان بما أهّله الله لاختباره في عمق الصحراء من عجائب رحمته الغزيرة.

أحد القدّيسة مريم المصريّة نداءٌ أخير من الكنيسة لنا، قبل انتهاء الصوم، حتّى نتشجّع للعمل على استبدال بشاعة الخطيئة برونق التوبة، ونضع كلّ رجائنا على المسيح المخلّص «الذي يشاء الكلّ أن يخلصوا وإلى معرفة الحقّ يُقبِلوا».

آلام المسيح وصلبه

رتَّبت كنيستنا المقدّسة أن يُقرأ، في الأحد الخامس من الصوم، المقطع الإنجيليّ (مر ١٠: ٣٢ – ٤٥)، حيث يخبر الربّ يسوع تلاميذه عن تسليمه وآلامه وموته وقيامته. يأتي هذا المقطع قبل أيّام من دخولنا الأسبوع العظيم المقدَّس، الذي يمتدّ من سبت لعازر حتّى سبت النور ويتوَّج بأحد الفصح المجيد. تهيّئنا الكنيسة للمشاركة الشخصيَّة بآلام المسيح وصلبه، واختبارها من خلال كثرة الخدم والصلوات طيلة هذا الأسبوع المبارك، فنشترك بانتصار المسيح على الموت، بقدر ما نغلب الموت في حياتنا الشخصيَّة بقوّة المصلوب القائم من بين الأموات.

قد يتساءل الإنسان عن الهدف من تألُّم المسيح. عندما خلق الله الإنسان في الفردوس، دعاه إلى الكمال والتألّه. لكن، بعدما سقط الإنسان، لم يعد ذلك ممكنًا، لو لم يتجسّد ابن الله، وتتّحد الطبيعة الإلهيَّة بالطبيعة البشريَّة من دون تغيّر أو تشوّش أو انفصال أو انقسام.

بعد أن سقط الإنسان بفعل الخطيئة، دخل الموت والفساد على الطبيعة البشريَّة، فكانت الآلام التي كابدها المسيح بطبيعته البشريَّة، سببًا لخلاص الجنس البشريّ من الموت الناتج عن السقوط. يقول الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «فإنَّه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات، لأنَّه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع» (١٥: ٢١ – ٢٢). تحمَّل الربّ المتجسّد الآلام الخلاصيَّة ليغلب الموت بجسده ويشفي الطبيعة البشريَّة من مرضها. ما من دواء استطاع تقويم الطبيعة الفاسدة لأنَّها، بحسب القدّيس غريغوريوس بالاماس «كانت بحاجة إلى دواء أكثر فعاليّة»، أي كلمة الله الذي تجسّد ومات من أجل الإنسان على الصليب. الصلب هو سرّ، لأنّه يشير إلى انتصار المسيح على الموت وتجديد الطبيعة البشريَّة. إذًا، الكلام على الصلب ليس استذكارًا لحدث تاريخيّ، ولا هو حزن على الظلم الذي أُلحِق بإنسان بارّ، بل هو كلام على الإنتصار الظافر على الشيطان والخطيئة والموت.

بالمسيح فقط يمكننا التغلّب على الموت. فشل آدم الأوّل في مقاومة الشيطان فمات. أمّا آدم الجديد، أي المسيح، فغلب الشيطان والموت الذي كان نتيجة الخطيئة. نرتّل في قانون جنّاز المسيح: «إنّك نقلتَ المائت بالموت والفاسد بالدفن لأنّك كما يليق بالله صيّرت الجسد الذي أخذتَه غير فاسد». يقول القدّيس نيقوديموس الآثوسيّ إنّ أطبّاء الجسد يطبِّبون المرض الجسدانيّ بالأدوية النقيضة، أي يجفّفون الجراح الرطبة ويرطّبون الجافّة، كما يسخّنون البارد ويبرّدون الحارّ. لكنّ المسيح يشفي المرض بالدواء المماثل: بفقره شفى فقر آدم، بجرحه شفى جرح آدم، بموته شفى موت آدم، وبدفنه شفى دفن الجدّ الأوّل؛ وبما أنّ آدم نزل إلى

الجحيم، فالمسيح أيضًا نزل إلى هناك ليحرّره.

ليس الله مَن يحتاج إلى الشفاء بل الإنسان. لا يذكر الكتاب المقدّس في أيّ مكان أنّ المسيح صالَح الله مع الإنسان لأنّه أصلاً لم تكن هناك عداوة بين الله والإنسان، إنّما ابتعد الإنسان عن الله بكامل إرادته. بموته وقيامته، أعاد المسيح الإنسان إلى الله وصالحه معه، أعاده إلى الشركة مع الله بعدما انفصل عنه. هذا تمّ من خلال آلام المسيح وصلبه وقيامته. إرتضى الله أن يحتمل ابنه كلّ هذه الآلام ليحرِّر الإنسان من تسلّط الشيطان، ويقدِّسه بطبيعة ابنه البشريّة، ويعيده إلى الشركة معه من خلال تجسُّد ابنه. هكذا، تمّت غلبة الشيطان والموت بالتضحية بالمسيح، فتحرّر الإنسان من سلطتهما وأحرز الشركة مع الله. بتضحيته على الصليب، أعطى المسيح للطبيعة البشريّة القوّةَ والإرادةَ لدحر الشيطان وتخطّي الموت. نحن نعجز عن قتال الشيطان والتغلّب عليه من دون أن تتشدّد إرادتنا وكامل طبيعتنا البشريّة بنعمة المسيح القائم من الموت.

آلام المسيح وتضحيته على الصليب هما ظهور وإثبات لمحبّة الله العظيمة تجاه الجنس البشريّ. قال المسيح: «لأَنَّهُ هكذا أَحبّ اللهُ العالمَ حتّى بذلَ ابنهُ الوحيدَ، لكي لا يهلِكَ كُلُّ منْ يؤمِنُ به، بلْ تكون له الحياةُ الأَبديّة» (يو ٣:١٦). إذًا، التجسُّد، وبخاصّةٍ الآلام والصلب، تُظهر كلّها محبّة الله. عدالة البشر هي نوع من الإنتقام، بينما الربّ، مع كونه بلا خطيئة وغير مُلام على خطيئة آدم وسقطته، صار إنسانًا ليخلّص الإنسان بتجسُّده وتضحيته على الصليب، أظهر المسيح تلك المحبّة العظيمة، لذا نسمّيه «ختن (عريس) الكنيسة».

محبّة الله للبشر حملته إلى التنازل لأن يصبح إنسانًا. لم يكتفِ بدعوة الذين يحبّهم، بل نزل وحيدًا وأتى إلى آلامه ليخلّصهم. تألّم بجسده ليُظهر عظم محبّته للبشر. لكنّ المسيح صنع أكثر من ذلك: بعد قيامته بجسده الروحيّ، ترك عليه جراح الصليب، تباهى بها، اعتبرها زينةً وعَرَضها على الملائكة فرحًا بأنّه تألّم من أجل البشر. إذًا، هو لم ينبذ الجراح الناتجة من الصليب، بل احتفظ بآثارها على جسده. ما من أحد عنده هذه المحبّة غير المحدودة. هو لم يحتمل الضرب أو خلّص العاقّ فقط، بل ثمّن جراحه. بهذه الجراح، يجلس على العرش الملوكيّ ويستدعي الكلّ إلى تاجه. هو لا يثمّن جراحه وحسب، بل يقدّم ذاته، لأنّ أعضاءنا من خلال حياة الكنيسة الأسراريّة هي أعضاء المسيح.

سبت لعازر
وأحد الشعانين

بمناسبة سبت لعازر في ٢٠ نيسان ٢٠١٩ تُقام خدمة السَحَر يليها القداس الإلهي في كافة كنائس الأبرشية . كذلك تُقام خدمة أحد الشعانين صباح الأحد ٢١ نيسان في كافة كنائس الأبرشية.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

نستطيع التألّه عبر اشتراكنا في روحه، في آنٍ معاً. إذاً، كان موته من أجلنا على الصليب موافقاً وملائماً تماماً. وبدا السبب في ذلك وجيهاً حتماً إذ كان له ما يبرّره بمنتهى الإتقان، ألا وهو أنّ خلاص الجميع ما كان ليتمّ إلا بالصليب. لأنّه، وبعد أن كشف لاهوته من خلال أعماله، بقي عليه أن يقرّب الذبيحة لأجل الكلّ، بغية إعتاقهم وتخليصهم جميعاً من مغبة التعدّي القديم. من هنا ظهر أشدّ بأساً من الموت، كاشفاً في جسده العادم الفساد بواكير القيامة العامة. كان موت الجميع يتحقّق في جسد الرب، فيما كان الموت والفساد يتحطّمان بفعل الكلمة الذي كان مقيماً في هذا الجسد. كان موته ضرورياً إذاً، وكان لا بدّ له من أن يموت لأجل الكلّ، ليسدّد دَين الكلّ.

القديس أثناسيوس الكبير